حول قصيدة شاعرة

نشرت مجلة الأديب اللبنانية في الصفحة الرابعة والستين من عددها الصادر في مايس ١٩٥٠ الجزء الثالث من السنة التاسعة كلمة لأديب انتقد فيها قصيدة الشاعرة المبدعة السيدة أم نزار الملائكة التي نشرتها في جملة ماتنشره ونظمته في محنة فلسطين . والشاعرة الملهمة قد نظمت في تلك المحنة أكثر من مائة قصيدة ونشرت في الصحف أكثر من اربعين والقصيدة التي نحن بصددها هي التي مطلعها :

ألهميني يا ربة النغمات أسعفيني فقد سئمت شكاتي

وقبل المضي في مناقشة كلمة ذلك الأديب نرى انصافا للحقيقة والتاريخ أن نسجل للشاعرة العظيمة أم نزار شرف السبق في تسجيل أنباء هذه الكارثة التي هزت كيان أمة لها تاريخ مجيد، وملأت عين أمجادها بالتراب فأفاقت مذعورة لاتبصر شيئا ولا تكاد تتبين مكانها بين الأمم وكأنها تائهة في بيداء موحشة .

والشعراء هم أعصاب الحس في الحياة الانسانية تنعكس على عواطفهم كل ما تفيض به الحياة من صور العذاب والمرح والنعيم والشقاء . والشاعر الذي ينطوي على نفسه كما تفعل الدودة ولا تتأثر عواطفه بما يمر في حياة المجموع يحشر ظلما مع أنباء أبولو وكم في الحياة من زيف وأباطيل !

لقد أوجدت هذه المحنة صدى عميقا في قلوب القلة ويا للأسف من الشعراء المحدثين . والشعوب الكريمة في مسير التاريخ لابد لها من هذه المحن لتجدد شبابها وتفتح عينيها وتقوم المعوج من سيرتها والشعوب نفسها في حاجة الى شعر يبعث في النفوس الميتة الحياة . وفي الأعصاب المحطمة نخوة الرجولة وفي القلوب صيحة المجد المدوي من أعماق الماضي المجيد .

لقد كانت الشاعرة الملهمة أم نزار الملائكة في الرعيل الأول من هذه القلة التي استجابت لدموع المجد المهان فبكت وابكت وصورت فاحسنت وبلغت صيحاتها مواضع الاحساس من نخوة الأمة الكريمة التي أخذت تتحرك من نومها العميق وويل للظالم من ثأر المظلوم . ان موعدهم الصبح . أليس الصبح بقريب ؟!

وخفافيش الشعر وغربانه التي لاتسمع أصواتها المنكرة إلا في المناسبات الرخيصة ، حين يموت ثري او حين يولد ابن عظيم قد خلا لها روض الشعر وماتت الأنغام في حناجرها نعود بعد هذه الكلمة الى الأديب الناقد فنرى انه قد مهد لنقده بأروع ماكتب عن الفن والشعر تمهيداً يستحق الشكر عليه لولا انه أخذ المعاني لتلك الكلمات من تلك البحوث المبتكرة التي ينشرها الأديب النابغ الاستاذ أنور المعداوي في مجلة الرسالة الغراء تحت عنوان « الاداء النفسي في الشعر العربي » . على ان الشعراء كما يقول عنترة : « لم يغادروا من متردم » والأفكار والمعاني مشاع يصل الى الجوهر منها الغواص الماهر في محيط الأدب العميق ولا يسعني إلا أن أكرر الاعجاب بتلك المقدمة وبما وضع من مقاييس ومفاهيم للشعر منها .

ويخيل إلي انه شاعر ، وانه قد دعاني نظم القريض ؛ وفهمه حقاً .... ولكن الذي يبدو لي انه وهو يكتب ذلك النقد قد أتعب ضميره كثيراً بالدوران حول الحقائق والاستنتاج الذي لايتفق مع ما ذكر من مفاهيم ومقاييس للأدب والفن . . . ومرد ذلك الظن الى إن الانسان الذي يتمتع بالصحة الجيدة لايجد طعم الماء في فمه مراً ، وإنما يجد ذلك والداء يهد جسمه ولا تتصل المرارة آنذاك بالماء ابداً وإنما بالمزاج المريض الذي يرى الأشياء ويتذوقها على غير حقيقتها

ونحن كثيراً مانرى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً في الحياة لأسباب نفسية تفرض ذاتها على أذواقنا وتفكيرنا فرضاً حتى اذا مازالت من آفاق حياتنا عدنا نرى كل شيء على حقيقته ونضحك من أنفسنا ونغض الطرف خجلا عما كنا نرتكب من حماقات .

واذا ضحكة طويلة ساخرة تنبعث خلفنا انها ليست ضحكة ذلك الشاب مع رفيقه .. انها ضحكة القدر الساخر .

بغداد عفران حافظ شرابي

لقد اضطربت المقاييس والمفاهيم في ذوق الأديب الناقد حينما تقدم بعرض أجزاء من القصيدة التي ينتقدها ، دعماً لرأيه ، وتمثيلاً على مايريد. والناقد الذي يقدم صورة مشرقة من ذوقه الفني لاتضطرب في ذهنه الأمثلة .....

لقد قال عن الأبيات الآتية : —

إلهميني يا ربة النغمات إسعفيني فقد سئمت شكاتي
إلهميني يارية الوحي فالانغام حيرى مخنوقة الصدحات
إلهميني لحونك الثائرات وضعي الروح في سعيرعات
إرسليها عواطفاً صاخبات وابعثيها صواعقاً محرقات

قال عنها :

« الحقيقة انني لم أفهم من هذه الأبيات شيئاً ، إذ كل مافي الأمر ان الشاعرة بدأت القصيدة تستنجد بربة الوحي وربة الوحي لاترحم ، أما ماذا أرادت ومم استنجدت ؟ لست أعلم ... الخ » الى أن يقول عن القصيدة انها « شعر بدون فن وان كلماتها متنافرة ، والموسيقى الشعرية معدومة ، أما المعاني فميتة ... الخ » ثم يقول بعد كلام من هذا النوع : « لابد وان هناك مؤثر اودافع قوي الا وهو قضية فلسطين وماوصلت اليه . . فهل نجحت بنقل عواطفها الى القارئ . . . وهل يحس ببعض الأحاسيس التي خالجت نفسية الشاعرة ؟ الواقع لاشئ من هذا . . . بل العكس صحيح ... »

ونحن حين نعود الى هذه القصيدة مجتمعة ، ونتصور انها قيلت في تلك المحنة التي هزت كيان العرب وزلزلت أمجادهم والعصابات الصهيونية المجرمة تذبح النساء والأطفال والشيوخ كل ذلك والناس يشاهدون هذه المجزرة البشرية في أبناء جنسهم فلا يحركون ساكناً ، ندرك تماما كيف تهبط الى غزارة نفوسنا كلماتها وكأنها حمم بركان . أعد قراءة الأبيات واستقبل في احساسك الهزات العاطفية الحزينة من الألم المخنوق والدموع السخية فستجد ان ذلك صحيح ، استمع الى { سئمت الشكات } و { الانغام المخنوقة } و « اللحون الثائرات » و الصواعق المحرقات » انها موسيقى شعرية رائعة وانسجام تام . ليس في مقدورنا أن نطالب الشاعر او الشاعرة بانظمة خاصة وقوانين ثابتة ، فالفن لايعرف الحدود والقيود وإنما هو طليق كنور الفجر ، يتسع من أغوار النفس رقراقاً متدفقاً . والاستنجاد بربة الشعر عادة كبار الشعراء في الشرق والغرب من أقدم الازمنة حتى الآن .

انتقد الأديب ترديد كلمة [إلهميني] وشاء له ذوقه غير الموفق ، أن يقارن بين كارثة فلسين وكلب الاستاذ العقاد [بيجو] والذوق شئ لايتعلمه الانسان من الكتب وانما الاتزان العميق الذي تبذره يد القدرة في صميم الروح وهو في هذه اللفتة الذهنية البارعة قد كشف عن هدفه من النقد بعد أن لبس على وجهه قناع الفن فكانت هذه اللفتة من سوء حظه . لقد ذكر أبيات العقاد في رثاء كلبه وهي:

حزناً على [بيجو] تفيض الدموع
حزناً على [بيجو] تثور الضلوع
حزناً عليه جهد ما أستطيع
وان حزناً بعد ذاك الولوع
والله يا [بيجو] لحزن وجيع

وعلق على ذلك بقوله :

« أنا لا أشك في حب العقاد لكلبه ، اوحب بعضها البعض ولكنه قد عجز عن نقل أسفه ومبلغ تأثره وحزنه عليه عند نظم الشعر » .

ونحن بدورنا نذكر قول المتنبي :

وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

ان أبيات العقاد رائعة تنفذ الى أغوار الروح فتثير كوامن الأحزان .. والأبيات التالية التي حذفها من قصيدة الاستاذ العقاد تتم الصورة الحزينة في ألوانها وظلالها واطارها النفسي وهي من الشعر البليغ . والاستشهاد بجزء من قصيدة على فساد معانيها او عدم معانيها على ماوصفت له ، لايفترق في كثير اوقليل عن تقطيع صورة فنية لكبار الملهمين الى اجزاء صغيرة ثم توجيه النقد الى كل جزء منها على انفراد وهذا يشبه تماما قراءتنا الاية الكريمة { ويل للمصلين } والوقوف عندها فلقد علمونا ان الوقف على كلمة المصلين حرام لأن

الويل لايمكن أن يكون لهم ، وإنما « للذين عن صلاتهم ساهون » منهم .

والترديد الذي لم يجد له مكاناً في ذوق الناقد قد ورد في سور القرآن الكريم واعتبر من فنون البلاغة التي لا يرقى اليها اسلوب من أساليب البيان الرفيع . وترديد كلمات بذاتها تحت ضربات الأسى يحمل عن النفس الانسانية الأوجاع ويخفف من وقع الصدمة . لقد ردد العقاد كلمة « الحزن » مرات خمس ولو لم يكررها كما كانت للأبيات روعتها . والعقاد دكتاتور الأدب العربي وفارس البيان المجلي الذي لايشق له غبار في الأدب والفن في عصور العربية جميعها .

ثم ينتقل الأديب الى بيت آخر : —

ليست الاغنيات إن لم تؤجج ضرما في النفوس بالاغنيات

فيقول عنه « أي أغنيات — وأساليب اللغة تفرض عليه أن يقول أية أغنيات — تعنين وما شأننا بها ، اننا بصدد فلسطين ، وما لنا وللغناء ؟ » والعجيب في الأمر انه يتلفت لهذه الهنات الطفيفة ، ويتغاضى عن النظر الى المعنى الرائع المتدفق في كل جزء من أجزاء القصيدة . والمجاز يسمح باستعمال الأغنيات في هذا المجال ولا يضيق به ذرعا .

ثم ينتهي بالأبيات الرائعة الآتية : —

اي فلسطين والجراح سكوبات وسيل الدماء ملؤ الرباة
اي فلسطين .. يارجاء الضحايا ياعرينا لايستلين لعات
اي فلسطين والضحايا جراحا ت تذيب القلوب مختضبات
اي فلسطين يامقر البطولا ت ثبي فالزئير في الهضبات
ليس بعد الذي جرعت من الا هوال من هدأة لنا اوسبات

فيقول عنها : —

« فاننا نجد التكرار المزعج لعبارة « اي فلسطين » والذي ليس من ورائها طائل فانها تضعف الشعر » أما العاطفة فانها معدومة تماما وليس لها أدنى تأثير ولا تهتز لها النفس بالمرة : —

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

ان التعليق على هذه الأبيات الرائعة التي تستدر الدموع من الجفون بمثل هذا الكلام الرخيص الرخو الميت يذكرني بحادثتين : —

الأولى عندما وقفت على جسر « وستمنستر » في لندن مرت بخاطري أبيات الشاعر الانجليزي العظيم {وردزورث} فرحت أرددها — وقد تعلمتها في المدرسة — تلك الابيات التي خالها وهو يرى شروق الشمس فوق مفاتن نهر {التيمز} الخالد — قال الشاعر العظيم : اي انسان يارب ذلك الذي يقف على هذا الجسر ويشاهد شروق الشمس ويرى بعينه مافي بدائعك من فتنة وجمال ولا تضطرب روحه وتخشع نفسه ... الخ .

والثانية : حينما كان الامام الأعظم ابو حنيفة النعمان يلقي دروسه الدينية حضر رجل له مظاهر العلماء وجلس يستمع الى دروس الامام فتهيب ابو حنيفة وراح يقرر الحقائق في اضطراب ظاهر — وطال ذلك القلق ، حتى زل لسان الزائر فسأل الامام الذي كان يتحدث عن الأحكام الشرعية في الحيض بقوله {واذا حاض الرجل فما حكم ذلك؟ فابتسم الامام العظيم وقال بصوت مسموع : لقد آن لأبي حنيفة ان يمد رجليه} .

والعقدة النفسية اومركب النقص الذي اوحى بالنقد كما بدا ذلك من مقارنة رثاء الشاعرة المبدعة ام نزار لفلسطين برثاء العقاد لكلبه « بيجو » لايتصل بمادة الشعر الفنية وانما بموضوع الشعر « فلسطين » . والناقد الأديب كما يظهر من نزوات العقل الباطن الذي يخزن أسرار النفس في نقده — من تلك الفئة المتحررة — على حد تعبيرها — والذين يسمون أنفسهم بـ« الشيوعيين » والذين نسميهم نحن زرابة وهواناً بـ « العبيد المستغربين » .

ندعوهم بـ « العبيد المستغربين » لأن أفكاراً رعناء قد استعبدت أرواحهم وحالت بينهم وبين أمتهم فاصبحوا غرباء عنها في عواطفهم ، يغرمون لآلامها ويصفقون لأعدائها وينقلبون عليها في ساعات المحنة جنونه مارقين يحملون المدية للوهن المغير يذبح بها أطفال امتهم ونساءها وشيوخها .

ندعوهم بـ « العبيد المستغربين » لا تجنياً عليهم ، وإنما لان تلك الافكار استعبدتهم وحملتهم بعيداً عن امتهم وتاريخهم لقد استغلت الصهيونية المجرمة هذه الفئة تحت تأثير هذه

برلنتي

بقلم : فاضل المطلبي

وهمس في أذني قائلا أتعرفها ؟

قلت : — لا .

قال : — إنها تسمى برلنتي

— وهل هذا كل ما في الأمر

— ولكن ألا ترى معي أنها جميلة كل الجمال رائعة كل الروعة ، أولم تنبئك عيناها على ما تتمتعان فيه من فتنة وأغراء بحملانك على الايمان بالسحر . كل ما فيها — ياسيدي — جميل قد ممشوق ، ووجه يستهوي الخلي فيشجيه وحسن مختلجة فيه روعة السماء ، فلا تكاد تنظر اليه إلا وترى نفسك أمام ملك طاهر من ملائكة الرحمة ، فتقول في نفسك حاش لله ما هذا بشر إنه ملك كريم .

— وهذا ولا أكتمك ما استولى على مشاعري وشغل حيزاً كبيراً من تفكيري .

— وهل تظن أن من تتمتع بمثل هذا الجمال الفذ والحسن الرائع تلج مثل هذه الابواب

— ذلك مايجعلني في حيرة من أمرها

— إذن لم تطرق سمعك قصتها ولم تكن على بصيرة من حكايتها

— ولما أجبته بالنفي قال : —

ليس مافي قصتها — ياسيدي — غريب عنك أو بعيد منك إذ تكاد هذه الحياة تزخر بمثيلاتها وتحفل بشبيهاتها ولكن الغريب فيها والعجيب أنها لايزال محور أحاديث بطلها الذي يعود له الفضل في اخراجها الى حيز الوجود فتراه دائماً وأبداً وبمناسبة وبدون مناسبة يذكرها لأصدقائه ومريديه بعد أن يملأ أنفه غطرسة وكبرياء وخيشومه غرة واعجابا كأنها صفحة من صفحات المجد وسجل من سجلات البطولة والاعجب من هذا انه يجد من صحبه ومناديه اسماعا واعية وآذاناً صاغية ويسمع منهم عبارات المدح والثناء والاكبار والاطراء ، أما هي فقد كانت الضحية على مذبح شهوات هذا البطل الكريم والمغامر العنيد

عاشت — يا عزيزي — كما يعيش غيرها من بنات الاسر الغنية وفتيات العوائل المتمولة في بحبوحة من الرخاء ورفاهية من العيش وكانت وحيدة أبويها اللذين أنعم الله عليهما من خيره العميم وفضله الجزيل فبذلا كلما في جهدهما اتربيتها تربية تليق بمقامها وتنشئتها نشأة تتفق وما لها من مستقبل باهر وكانا لا يفكران إلا بسعادتها وهنائها ، وكثر خاطبوا برلنتي ، ولكنها كانت ترفض الزواج في كل مرة وتبعها الشبان ولكنهم لم ينالوا منها غير الصد والهجر ، ولم يحظوا بسوى الاعراض والنفور ودار الزمن دورته ورقد أبواها الرقدة الاخيرة التي ليس من بعدها يقظة وبقيت هي الوريثة لها في كل ما خلفاه من أموال منقولة وغير منقولة فتزوجت من ابن خالة لها ضناً منها على ثروتها وحرصاً لاموالها من التسرب الى يد أجنبي عن أسرتها ولكن ابن خالتها هذا كان ممن استوت عواطفهم على عقولهم ، وأخذت ملكاتهم بزمام أمورهم فلم يكد يستلم هذه الثروة الطائلة إلا وأخذ

« الشيوعية » المخدرة الى أن يكونوا طابوراً خامساً لها بين أهلهم . لقد رأيت في العراق وفي الاجزاء العربية الاخرى من العالم العربي كيف كانت هذه الاصنام البشرية تردد كلمات بذاتها وتعابير لم تجد لها مكاناً في اذواقها وانما بقيت كأحجار الصوان في معدنها لم يهضموها وانما يتقيأونها على طريقة واحدة في مجالس البسطاء من الناس . . . وكيف كانوا يفرحون لانتصارات المجرمين . . .

ان الايدي التي كانت تمتد لتأديب هؤلاء العبيد وتبديد ظلامهم ، انما هي أيد مباركة من الله سيكون لها النعيم بحكم ما قدمت من خير كثير يوم يبعث الناس .

لقد شبه الناقد فلسطين بكلب العقاد وثار لأن روحا كريمة غضبت لامجاد قومها فسجلت ذلك في شعر باك حزين سيخلد مع الدهر وسيكون له شأن حين يكتب التأريخ .

لقد غضب قبله مجرم صهيوني فكتب عن معاملة مالية ناقصة « طابع انقاذ الحمير » .

بغداد

« غسان »